

البروغرام الصهيوني السياسي

﴿ بقلم الزعيم الصهيوني اوسيشكن ﴾

شرعت جريدة فلسطين بترجمة هذا الكتاب بالعربية ونشره تباعاً فيها ، فرأينا ان نقل بعض فصوله عنها بمناسبة ما نشرناه في الاجزاء الماضية عن الجنسية في البلاد العثمانية ، ولما فيها من العبر

الفصل الاول

ان المساعي التي بذلها الشعب الاسرائيلي للخلاص من منقاه بعد ان مضى عليه فيه نحو النفي عام ، قد تحولات منذ ٢٥ سنة من حالة التفكير والسكون الى حالة الحركة والعمل ، وذلك لاعادة حياته السياسية الحرة في بلاد اجداده

ولقد كان ملاقاه اليهود من المذابح وما قاسوه من الاضطهادات في غربي روسيا من اكبر البواعث على اخراج هذه المجهودات من حيز الفكر الى حيز العمل . ومن يتبع تلك المساعي يجد انها كانت تتغير وتتطور تبعا للظروف ومجاراتها لما كان يضعه الزعماء من البروغرامات والخطط . فجميعيات «عجة صهيون» و«الصهيونية الروحية» و«الصهيونية السياسية» لم تكن الا وسائط مختلفة وطرقاً متعددة ترمي جميعها الى غاية واحدة وتوصل الى غرض واحد

— الصهيونية السياسية —

كل امة تسمى وراء كيان سياسي مستقل حر يجب عليها توصلها لغايتها هذه ان تراعي ثلاث حالات ضرورية : حالة الشعب — وحالة

البلاد - وحالة الظروف الخارجية

١ حالة الشعب : من الشروط الاولى لكل امة تسمى وراء الاستقلال السياسي والاقتصادي والادبي ان يكون شعبها على شيء من الاستعداد لذلك، كأن يكون ذا شعور قومي راق، وجميعات قوية منظمة، ورؤس اموال كبيرة عمومية، وصبر على احتمال المصائب، واهم من ذلك كله ان يكون مستعدا دائما لتضحية مصالحه الخاضرة امام الصالح العام المستقبل . فاذا كانت هذه الشروط جميعها لا توجد في الشعب ولم تبدل المساعي اللازمة لا يجادها فيه، استحال على الامة ان تنشئ لنفسها مركزا سياسيا حرا

٢ حالة البلاد : اما حالة البلاد أو الارض التي تريد الامة ان تستقل بها استقلالا سياسيا فيجب ان تكون ملكا لها بالفعل من الوجهتين الاقتصادية والعقيلة، اعني ان تكون جميع قوى تلك الارض الحيوية في يد شعبها، وان كانت الارض نفسها تحت سيادة غيره اسما . وان يكون للشعب بها علاقة روحية، وتكون تربتها مشبعة من دمه وعرق جبينه، والا كانت غير صالحة للاستقلال

٣ حالة الظروف الخارجية : ثم لو فرضنا ان الشعب كان جامعا لكل شروط الاستقلال وكانت حالة البلاد موافقة له، فاستقلاله فيها وعلان حكمه عليها، لا يتيسر ان له الا اذا ساعدته الظروف الخارجية أيضا، لارتباط مصالح جميع الشعوب بعضها ببعض وإن تشعبت الطرق المؤدية اليها . ولذلك كان لا بد في كل حركة قومية من بروغرام سياسي تتمشى عليه لاجتناب ما ربما يقف في طريقها من المثرات، واقناع الحكام والمحكومين

باخلاص تلك الحركة وما ينجم عنها من الفوائد ، مع السعي في الوقت نفسه باستمالة الرأي العام الاجنبي ، واستخدام احسن ما فيه من القوى العقلية والانسانية لمنفعة تلك الحركة ، والا اصابها الفشل

الفصل الثاني

ان احسن بروغرام يجب السير عليه في كل حركة قومية تتطلب الخلاص والاستقلال هو العمل لها من الجهات الثلاث المذكورة. وبهذه الطريقة فقط تتقدم وتتقوى من يوم الى يوم ومن سنة الى اخرى . فيصلح حال الشعب ويسهل عليه امتلاك البلاد ، وتصبح الظروف الخارجية ملائمة له ، وتكون جميع القوى التي تملكها الامة قد استخدمت لفائدة تلك الحركة . فينما تسمى جماعة مثلا لتكشير رؤوس الاموال واقعام خزائن الشعب منها ، تكون غيرها ساعية وراء تعليم العامة واثماء مداركها وشعورها ، وينما تكون جماعة ترود البلاد وتدرس حالتها ، تأتي اخرى لاستثمارها واستثمارها ، وينما يقوم البعض بشرح رغبات الامة وغاياتها امام الشعوب الاجنبية ، يسمى آخرون بالتعارف مع الملوك والوزراء وما يترتب على ذاك من الامور السياسية. لان على مجموع هذه الاعمال المتفرقة التي يقوم بها الافراد والجماعات في جهات متعددة وفي وقت واحد يتوقف نمو الحركة ونجاحها .

وبالعكس فان النتيجة تكون عقيمة أو قليلة الفائدة^(١) اذا حصر المسمى

(١) هذه عبارة تستعملها الجرائد على انها منطقية وما هي بمنطقية، ولكنها فاسدة . فالنتيجة لا تكون عقيمة وانما تسمى المقدمات التي ليس لها نتيجة صحيحة مقدمات عقيمة أي غير منتجة ، ولفظ العكس مستعمل في غير محله ايضا . والمراد من الكلام ان نتيجة ما يأمن السعي يكون ضد نتيجة ما تقدم

في جهة واحدة ، وبقيت قوى كثيرة مهملة بدون عمل . ومن المحتمل أيضاً ان يكون هذا العمل الناقص ذا نتائج محزنة في المستقبل ، لان اقل عارض يطرأ عليه يوقف مجراه فيفقد العملة نشاطهم ومراكزهم ، وتقع عامة الشعب في أزمة شديدة ، وتصبح الحركة في طور حرج جداء ، وفي ذلك من الاضرار مالا يحصى على احد .

أما اذا كان العمل مشتركاً وفي جهات متعددة فحيوط جزء منه في جهة يماذله نجاح جزء آخر في جهة اخرى . وهكذا تبقى الحركة سائرة سيراً طبيعياً مطرداً

لتتصور الآن ان الظروف الخارجية كانت موافقة لرغبات امة ما ، تريد ان تجد تاريخها وحياتها الاستقلالية في أرض ما ، ووافقت الحكومات والشعوب جميعها على رغبتها هذه ، ولم تجد مانعاً خارجياً يقف في سبيلها ، ولكن شعبها كان من جهة قليلة الثقة بقواه الخاصة قليل الاستعداد لبلوغ الغاية التي ترمي اليها ، لا جمعيات منظمة لديه ، ولا اموال عمومية تساعد على اقتناء الفرص المهمة واستخدامها ، فماذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة حينئذ ان تلك الفرصة المهمة التي سنحت تفوت ، وربما لا تعود في عدة قرون . ومثل هذه الفرص عرضت مرتين لليهود عند ما طردوا من اسبانيا في ايام الدوق جوزيف دي نكسوس فلم يستخدموها .

ثم لو تصورنا عكس ذلك ورأينا الشعب مستعداً للحياة الاستقلالية ولديه جميع الوسائط اللازمة وكانت البلاد في قبضة يده فعلاً ولكن الظروف الخارجية كانت لا تساعد ولا تسمح له بالحصول على بغيته ، إما

لانه لم يهتم بهاء واما لانها لم تكن على استعداد تام لقبول فكرته ، فإذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة اذ ذاك ان الشعب يضطر الى ان يبقى تحت العبودية والنير في انتظار ايام احسن . ومثل هذه الحالة تنطبق الآن تماماً على حالة ارمينيا العثمانية التي وان كان استقلالها امراً لا بد منه ، الا ان ذلك يطول مادامت الظروف الخارجية غير موافقة له .

على انا اذا وجدنا لما تقدم مثالا صمب علينا جدا ان نجد في التاريخ العام كله من اوله الى آخره حالة مفجعة اسوأ من حالة شعب ذكي متعلم راق كالشعب اليهودي هبّ لجمع شتات قواه وتنظيم رؤس أمواله ، وشمر بوجوب استمالة شعوب وحكام العالم أجمع لمساعدته والاخذ بيده ، فوجد بعد كل هذا العناء ان البلاد التي ينشدها وهي غاية امانيه ومطمح انظاره ومرمى مساعيه التاريخية بين ايدي شعب آخر يضارعه اجتهاداً ولا يقل عنه في مداركه الاقتصادية . ولذلك فاني " اشعر بوجل شديد وترتجف اعصابي عندما أنصور ان الشعب الاسرائيلي ربما وجد نفسه في مثل هذه الحالة يوماً ما اذا ظلت مساعي بعض زعمائه منصرفة الى جهة واحدة . وحينئذ قل : السلام على تاريخه المملوء بالآلام والاضطهادات وعلى امازيه وموضوع احلامه وآماله ، وقل : السلام على مستقبله الذي أضرب به جهل الزعماء ، أكثر من مساعي الاعداء

(١) يكثر مثل هذا التعبير في الجرائد وكتابة بعض المتأخرين - أعني الجمع بين لام التعليل وفاء السببية بهذه الصفة - وقد يكون المقام لاحدهما فقط . والاستعمال التفصيل في الجمع بينهما ان يقال . فلذلك اشعر بوجل شديد . فان جميع الى التأكيذ قليل : فاني لذلك أشعر بوجل الخ

الفصل الثالث

ان سبب قلة نجاح الحركة الصهيونية في الخمس وعشرين سنة الاخيرة يرجع معظمه الى النقص في العمل -جمعية «عجة صهيون» لم تهتم في بحر عشر سنوات في غير امر البلاد وحالة الارض فقط، فلم تفكر في اعداد الشعب لها وانما مداكه العقلية، ولا بانشاء رءوس اموال عمومية، ولم تعرف ان تحول هذه الحركة الى حركة رسمية سياسية، ولم تجرب ان تستميل اليها الدول الاجنبية، بل اكتفت بان تظهر في مظهر المحسن بانشاء بضم مستعمرات تعيش من مال الاحسان، ولذلك انتهت هذه المدة الاولى من تاريخ الصهيونية بازمة سنة ١٨٩١

على ان المدة الثانية التي تلت تلك الازمة وهي مدة انتشار الصهيونية الروحية لم تكن باسم حطاً من الاولى، فقد اُهمل فيها امر البلاد كما اُهمل في التي قبلها امر الظروف الخارجية. وبعد خمس سنين انصرفت في اثناها جميع المساعي الى التعليم الداخلي وتبنيه الشعوب العقلية فقط، نبغ عدد قليل جُلُّه من الخياليين، فلم يجدوا لما تعلموه فائدة محسوسة أو عملاً مادياً، وبقي مجموع الامة جامداً، وأصبحت الحركة الصهيونية مهددة بالموت - الى ان عقد المؤتمر الاول فابتدأت به المدة الثالثة وهي عصر الصهيونية النهي، فبشت الحركة من مرقدتها ودبت في الامة روح جديدة، لانها وجدت في المؤتمر ضالتها، وواظقت قراراته هوى في نفسها.

ان جميع الصهيونيين الحقيقيين اصحاب الوجدان ومفكري الامة رأوا في بروغرام مؤتمر (بال) الاول ادغام البراغرمات السابقة باخرى جديدة حوت صفوة ما تقرر، وخلاصة رغبات الامة، ولا سيما في تصريحه جلياً على

مسمع من العالم أجمع، باننا نجاهد لانشاء حكومة يهودية في فلسطين، وانه لا بد لنا لنصل الى هذه الغاية من اربعة امور :

١ - امتلاك فلسطين اقتصاديا وادبيا

٢ - تنظيم قوى الشعب وانشاء رؤوس اموال مامة له

٣ - انماء الشعور القومي في الشعب ورفقته

٤ - السعي بكل طرق السياسية لجعل جميع الظروف الخارجية موافقة لنا. وفي الحقيقة ان الشجاعة الادبية التي اظهرها هذا المؤتمر في اعلان حقوق الامة الاسرائيلية على فلسطين، والخطوة الجلية الصريحة التي رسمها لبلوغ هذه الغاية، والقوة المعنوية التي تجلت من خلال اجرائه، - كان فعلا في الشعب اليهودي فعل المعجزات. فانه تنبه من سباته العميق، وفي كل محل بلغت اليه اخبار المؤتمر عقدت الاجتماعات، وأقيمت الخطب، فأسست الجمعيات، وتألقت الشركات. ومنذ ذلك الحين اخذ العمل يتقدم بسرعة وبجد واجتهاد عظيمين، فاشتد ساعد الجمعية الصهيونية وانشأت صندوق المال المالي، وانضمت لها قوى سياسية خارجية، وظهر لنا من نتيجة مقابلات الملوك والوزراء بان حركتها ستعنى وتتقوى على مرّ الايام

غير ان القريب من مركز ادارة هذه الحركة والواقف على ما جرياتها، يلاحظ في الحال ان الخطأ العظيم الذي كانت الصهيونية تنألم منه في مدتها الاولى والثانية - واعني به قيادة الحركة من جهة واحدة فقط وتوحيد المساعي وصرفها وراء نقطة واحدة من نقط البروغرام - مازال يرتكب حتى الآن، وذلك بسمينا وراء العمل السياسي فقط لاجتناب العقبات الخارجية

أما الجهات الأخرى فلم يفت إليها بل أهملت بالكلية
فالأمر الأول من بروغرام مؤتمر (بال) وهو امتلاك «فلسطين»
اقتصادياً وادياً كان من نتيجة قلة الاهتمام به أن اللجنة التي عينها المؤتمر
للنظر في المسائل الاستعمارية لم تعمل شيئاً، لأنه لم يدخل صندوقها شيء
من المال، ووجد مديرو هذه الحركة في فلسطين أنفسهم بعد ست سنوات
أنهم لم يتقدموا خطوة إلى الأمام، بل ظلوا في ذات النقطة التي ابتدأوا منها
نم أن الآداب الإسرائيلية لم تتقدم أيضاً تقدماً محسوساً، وكانت
مسألة البحث في أحيائها تبدو في كل مؤتمر كشبح مرعب. والدليل على
ذلك النجاح البطيء الذي صادفته اللغة العبرانية في السبع السنوات الأخيرة
مع أنها من أكبر العوامل على تنبيه الشعور القومي

الفصل الرابع

ظهر مما تقدم أن إدارة العمل من جهة واحدة لا يمكن أن تأتي
بالفائدة المقصودة، ففي الوقت الذي كانت فيه مساعي الرؤساء جميعها
منصرفة إلى العمل السياسي، كان بقية الأعضاء يطلبون بالحاح شغلاً عملياً
آخر، ولكن هذا الشغل لم يكن موجوداً، والعمل السياسي كما لا يخفى
لا يصلح له إلا رجال مخصوصون، وهكذا أهملت نفسها التي عليها مدار
الحركة، ولم يفت إلى حفظ المواصلات معها، وإرسال قوى جديدة إليها،
كما أنه لم يهتم أحد للأعمال العقلية وتنبيه الشعور القومي، وجل ما عمل إذ
ذلك كان منحصراً في جمع المال واللقاء الخطب، - إلى أن جاء المؤتمر الرابع.
وهذا بدلاً من أن يكون صهيونياً أي أن يهتم بقيادة الحركة في الطريق

السويّ اقترح وضع بروغرام خلاصته : انشاء جمعيات للتعاون وجمعيات خيرية وجمعيات اسعاف لايطعام الجياع وصندوق للتسليف . فعمل للحركة الصهيونية دخلا في كل شيء حتى في جمعيات رجال المطافى الحرة ، فكانت النتيجة ان الغرائم انحلت وشعر الناس بأن هذه الاعمال لاتصل بهم الى الغاية

ثم حدث ما هو انكى من ذلك فقد استقر في الاذهان أن الصهيونية السياسية رغم ما بذلته من المساعي واستفادته من وعد الحكومات بمقاضتها ، هي عاجزة عن تغيير طرق معيشة الشعب اليهودي واصلاح احواله وتحسين معاملته ودفع الحيف عنه في اكثر البلاد التي يقطنها ، ولذلك كان كل عمل الصهيونية في نظر الامة الاسرائيلية لايساوي شيئا . وقد اصاب الناس في هذا الاعتقاد لان امورهم الاقتصادية كانت تزداد سوءا من يوم الى يوم ، والمهاجرين يغادرون بلادهم بالالوف ، والحرائق والمذابح والاضطهادات يتلو بعضها بعضا ، والافواه تردد باصوات عالية قائلة : اعطونا عملا ، نريد شغلا . فلم يجدوا من الصهيونية ما يحقق آمالهم فيها . ومما زاد في الطين بلة على اُرد ذلك قيام عثرة جسيمة في طريق سياستنا اضطرتها في سنتها السابقة ان توقف عملها مدة من الزمن فوقفت الحركة من جميع الجهات .

على ان وقوف دولاب الحركة هذا لم يكن ليضرها بمقدار ما اضرت بها فكرة بعضهم في استثمار اوغندا . وهي اعظم فطنة ارتكبت في مدة الخمس وعشرين سنة الماضية من تاريخ الصهيونية ، لان الانظار تمحوت

اذ ذاك الى هذه الوجهة . وانشتت الحركة الى قسمين ، وانتشبت الحرب بين الاخوة وتمزق العمل فكان من نتيجة ذلك حدوث ازمة هائلة . وبعد ان كان الصيونيون قبل المؤتمر السادس اقوياء - لا في سياستهم او في اموالهم او في جمعياتهم فقط بل في اتحادهم ووحدة مبدئهم - جاءت هذه الفكرة فهدمت ذلك الاتحاد الى سنين كثيرة ، وزادت عليه فقضت بما احدثته من التأثير السيء على زعيمنا الاكبر هرتسل العظيم منشئ المؤتمرات ، وذلك عندما رأى صروح عمله تنهار واتعابه تذهب أدراج الرياح . ان الامة الاسرائيلية تجتاز الآن زمناً مخيفاً فقد اصبحت لا قائد لها ولا بروغرام ، واصبح افرادها لا ثقة للواحد منهم بالآخر ، والكل يحمل ما تؤدي اليه هذه الحالة . ومن يعلم ماذا يضر لها المؤتمر السابع ، وهل هو يجري على خطة المؤتمر السادس ويتم ما ابتدأ به من هدم جميع ما اشتغلنا فيه مدة ٢٥ سنة ؟ او هو يستخرج من اليأس قوة عظيمة فيسمى للتكفير عن تلك الزلة الهائلة التي ارتكبها المؤتمر السادس فيضع خطة جديدة لادارة العمل .

انني اريد ان اعتقد أنه سيختار الخطة الثانية لان السبيل الموصل اليها سهل هين ، وهو الرجوع الى بروغرام مؤتمر بال بجملة ومافيه من الصراحة .

الفصل الخامس

ان النقطة الاساسية في بروغرام مؤتمر بال هي انشاء وطن سياسي حرّ مستقل للشعب الاسرائيلي في فلسطين . ويفهم من هذا بوضوح ان

الغاية الوحيدة من الحركة الصهيونية هي انشاء بلاد سياسية حرة مستقلة لليهود في فلسطين، لا ايجاد ملجأ او مركز روحي لهم، وقد ذكرت فلسطين ولم يذكر غيرها لان كل سعي يرمي الى بلاد غير فلسطين ليس هو من الصهيونية في شيء، واحر بالقائمين به ان لا يستظلوا بالعلم الصهيوني لنشر فكرتهم. ولذلك اصبح من واجب المؤتمر السابع ان يهدم ما وضعه اولئك المنافقون المتظاهرون بالصهيونية، ويزيد على بروغرام المؤتمر الاول كلمة واحدة لها معنى كبير وهي كلمة « فقط » أي « في فلسطين فقط » ويحتاط بمادة اخرى يضيفها الى القوانين الاساسية الصهيونية تضمن لمجموعها عدم التنقيح والتغيير فيها

وهناك أيضاً اشياء اخرى يجب على المؤتمر تقريرها. منها ان يصادق على طرق العمل التي وردت في المواد الاربع المذكورة في بروغرام مؤتمر بال. وان لا ينقص حرفاً منها ولا يزيد عليها شيئاً من شأنه ان يصرف الاذهان الى طرق أخرى كانشاء ملاجئ أو مستعمرات خيرية، فاذا عمل ذلك سهل عليه انهاض الحركة من كبوتها والقبض على ازمتهما والسير بها في اقوم طريق. وهانحن أولاء نأتي الآن على شرح تلك المواد الاربع من بروغرام مؤتمر بال لا كما وردت بالترتيب ولكن بحسب درجاتها في الاهمية وما يترآى لنا من سهولة تناولها. (له بقية)

[المنار]

لوم ينشر من هذا الكتاب الصهيوني الا هذه الفصول لكفت من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم عبرة وبياناً لمقاصد هؤلاء الصهيونيين. وليعلم من لم يكن يعلم دين هذه الأمة وتاريخها أن الصهيونيين اذا تم لهم ما يريدون فانهم لا يقعون

« في أرض الميعاد » التي يؤمنون ملكهم الجديد فيها مسلما ولا نصرانيا . وليست أرض الميعاد أو فلسطين عندهم ما نسميه نحن الآن فلسطين فقط ، بل هي في عرفهم وتحديد كتبهم الدينية تمتد الى سورية حتى « النهر الكبير » أي نهر الفرات . فهذه بلاد لا يجوز عندهم أن يقيم فيها أحد غير الاسرائيليين . وفي سفر (تثنية الاشتراع) ان الرب أمرهم عند دخولهم فيها بعد خروجهم من مصر على يد موسى (ص) أن لا يستبقوا من أهلها نسمة مّا . - والنص في ذلك تجد في باب الفتاوى - .
نعم انهم لا يبيدون الآن من فيها من غير اليهود بالسيف والنار كما فعل اسلافهم من قبل ، بل يبيدونهم بقوئي السكيد والمال ، وهما قوتان لهذا الشعب الصغير ترهبهما كبرى الأمم والدول ، حتى ان دولة الروسية القوية القاهرة انشأت تستميل في هذه الايام يهود بلادها على قتلهم لثلاثي يحدثوا فيها أحداثا وقتنا داخلية ترتزل أقدامها في هذه الحرب التي تقتضي مصلحة الدول المحاربة فيها أن لا يكون لها شغل داخلي يشغلها . فاذا عسى أن يفعل العرب أصحاب فلسطين من أسباب المحافظة على وطنهم وأملاكهم فيه على تفرأوقهم جبل السواد الأعظم منهم بكنه الخطر وكنه قوته مزاحمهم ، وعلى جهلهم أيضا بالقوة أنفسهم وبطريق الانتفاع بها ؟

لا أقول إنه لا يمكن أن يعملوا ولكن أقول لا بد من الروية والحزم وقوة الاجتماع ، ولا بد من المسارعة الى تنظيم وسائل الدفاع ، وليعلموا انه لا يكاد يوجد شعب من شعوب الأرض غافل عن قوته واستمداده ككالشعب العربي . قوته واستمداده كامنان فيه كمن النار في حجر الصوان تحت الثلج ، فمن ذا الذي يزيل أو يذيب الثلج عن هذا الحجر الصلد ، وأين مقدحة الحديد التي تهدهح النار من هذا الزند ؟ ستجيب عن هذين السؤالين الايام ، فان الجواب عنهما احداث وافعال لا أحاديث ولا كلام .